صحافة المقاتلين الجدارية

هادي ابو اسوان

بـدأت فكرة اصدار نشرة جداريـة في قواعـد المقاتلين الفلسطينيين اثناء ممارسة حملة التثقيف المركزة الهادفة لاغناء عالم المقاتل فكريا وسياسيا وتفتيح كافة ابواب المعرفة امامه . فقد حدث مرة ان عاد احد المقاتلين من اجازته ملهوفا يسأل: لماذا انا عضو في فتح ؟ واستطرد هذا المقاتل المجرب قائلا : انا اعرف انني جئت فتح لاستعيد وطنـي بالقتال ولكي تكف تسمية اللاجـىء عن مطاردتـي كلعنة ، جئت كي اقاتل من اجل فلسطين . هكذا قلت ولكن يبدو ان هذا كله لم يكن ليقنع الشخص الذي استوعب اجازتي كلها بالنقاش معه ، كنت اريد ان احكي له الكثير الا انني غير قادر ... ولا اعرف .. لا اعرف لماذا . وبالطبع فان توفير مفوض سياسي لكل القواعد قد يكون من الصعب توفـيره الان ، وربما لفترة طويلة اخرى وعليه فلا بد من ابتداع وسيلة يعلم المقاتلون بعضهم بعضا وبشكل جماعي ، فارتؤي اصدار نشرة جدارية ، وسميت « العرقوب » . وعندما رأى الاخ ابو عمار القائد العام للثورة العدد قال : ان اسم قطاعكم هو نسور العرقوب واقترح ان يكون اسم النشرة هو « نسور العرقوب » وقد كان . اما الشعار الذي صدرت على اساسه فهو « تبادل الخبر والمعلومـات والتجارب » باعتبار ان الخبر والمعلومات والتجارب هي فوق كونها وثائق ثورية اكثر دقة وصدقا فهي في نفس الـوقت التاريـخ الحقيقـي والنقـي للثورة والشعب عدا عن كونها في نتائجها المباشرة اداة جيدة من ادوات التعليم والايضاح امـام المقاتلين وبهم .

« الايام تمر ... والذاكرة قد تضعف وقد يرحـل البعض بما يحملونه من ذكريات لماذا لا نفكر في اخوة لنا سيواصلون الطريق بعدنا ؟ يجب ان نكتب لهم خبراتنا . اكتب عن العمليات التي شاركت بها . واذكر الابطال الذين استشهدوا ولخص الخبـرة التي خرجت بها ... بذلك نجنب اخواننا تكرار التجارب » . الا ان هذه الفكرة اخذت بعدا جديدا وذا تأثير ومغزى اعمق غورا عندما جاء « ان اية كتابة ادبية أو عسكرية أو نظرية يقدمها مقاتل في الثورة هي وثيقة ثورية غنية ولها مدلولاتها العميقة، وهي بالنهاية صورة لطرائق التفكـير والتحليـل والمعالجة ضمن هذه الثورة العظيمة . فلنشحـذ اقلامنا ، ولنركز افكارنا ، ولنكتب تجاربنا ، من اجـل ان نغني تراث الثورة ونسهل على مـن سيتبعنا الطريق » . وفي هذا الخصوص بالذات اي كتابة التجارب والذكريات في خضم العمـل الثوري يجد المرء تجربتين . الاولى هي « ذكريـات المشتركين في حرب العصابات ضد اليابان » وهي جملة ذكريات لمقاتلين في حـرب التحرير الكوريـة وبعض التجارب بشكل بسيط وموجز وقد طبعـت اكثر من طبعة من قبل حكومة كوريا الديمقراطية والطبعة الاخيرة منها مزيدة وموسعة . وهـذه التجربة هي الجانب الايجابي . اما التجربة السلبية او الجانب السلبي من تجربـة تدوين تجـارب المقاتلين وذكرياتهم فقد كانت ساحتها الجزائر التي قدمت مليونا مـن الشهـداء . الا ان الباحـث ـ ناهيك عن المواطن العادي ـ يجد كل الصعوبة، بل يعجز نعم يعجز عن العثور على اية وثائق يخرج منها بخبرات وعبر حتى انه يمكن ان يصدق القول بأن الثورة الجزائرية انتهت عندما انتصرت. ذلك ان اي افادة من ادبياتها ـ حتى الرسمي منها والذي كان يتداول داخل القواعد او التنظيم، منتفية ـ لم تتحقق .

وعليه بالنسبة لنا ، فقد انصب اهتمام خاص على العمليات بهدف تدوينها في « نسور العرقوب » لا سيما وان تلك العمليات قد انجزت بالفعل واصبحت دروسا وتاريخا ، ولكن لا بد من التساؤل عن امكانية استفادة العدو من وثائق كهذه . وهناك لا بد من تثبيت ان العمليات الفدائية ، وكل اعمال حرب العصابات تنطبق عليها هذه الصفة ، تتسم بأنها منقسمة الى ثلاثة اقسام : الاول هو الوصول من قاعدة الانطلاق الى الهدف نفسه . ثانيها انجاز العملية ـ الهدف ـ . ثالثها العودة من منطقة الهدف الى قاعدة الانطلاق المباشر او اي نقطة تجمع متفق عليها سلفا . وان ابرز ما يلجأ اليه العدو لحماية نفسـه ومنشآته هـو نصب الكمائن على الطرق التي يتوقع ان يتسرب منهـا المقاتلون . الا ان هذه الكمائن تتناسب قيمتهـا عكسيا مع جودة الاستطلاع . وعلى ذلك يبقى العدو مهما كثف وتفنن في وضع الكمائن ، يبقى